



يسود العاصمة الأميركية اعتقاد مفاده أن تنظيم "الدولة" سينهار قبل نهاية العام، أو أنه على الأقل سيخسر الموصل ومعظم مناطقه في العراق، وأن وجوده سيتقلص إلى جيوب صغيرة في سوريا، بما فيها الرقة وبعض القرى. وعلى أهمية هذه الإنباء، تثير تقارير احتمال انهيار "داعش" قلق غالبية مسؤولي إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما حول "اليوم التالي" لانهيار التنظيم، والفراغ الذي سيسود من بعده، وامكانية حلول تنظيمات متطرفة أخرى مكانه.

سدّ الفراغ الذي سيخلّفه انهيار "داعش" يستدعي سلسلة من الإجراءات على مستويات مختلفة، مالية واجتماعية وإنسانية وعسكرية وسياسية. ولتفادي انهيار يشبه انهيار نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، عقدت الولايات المتحدة مؤتمر الدول المانحة لتمويل برامج في المناطق التي يتم تحريرها من قبضة "داعش" في العراق، وأعلنت أن هدفها هو جمع ملياري دولار لتمويل أعمال الإغاثة الإنسانية وإعادة البناء، وإقامة حكومات محلية قادرة على إدارة هذه المناطق وشؤونها.

كذلك تعمل الإدارة الأميركية على إقناع الحكومة الفدرالية في بغداد على ضرورة تقديم تنازلات للحكومات المحلية في المناطق التي يتم تحريرها من "داعش"، وهي ذات غالبية سنية. وتسعى الولايات المتحدة إلى إنشاء وحدات شرطة، وربما "حرس وطني" من مقاتلي العشائر السنية، على أمل أن تقوم هذه بضبط الأمن، بدلاً من القوات الحكومية وميليشيات "الحشد الشعبي"، التي تشير التقارير إلى قيامها بأعمال انتقام وتعذيب واعتقالات تعسفية بحق مدنيي المناطق العراقية المحررة من "داعش".

أما في الجانب العسكري، فتخشى واشنطن أن تقوم مجموعات إسلامية، توصف بأنها "متطرفة"، بملء الفراغ الذي سينتج عن انهيار "داعش"، خصوصاً في سوريا. وتتصدر "جبهة النصرة"، التابعة لتنظيم "القاعدة"، لائحة الفصائل المرشحة

للاستيلاء على المناطق السورية المحررة من "داعش".

ولتفادي حلول النصر محل "داعش"، عمدت وزارة الدفاع الأميركية إلى تمويل وتسليح فصائل كردية، وبعض المجموعات العربية التابعة لها، لاعتقاد الأميركيين أن الأكراد لا يقاتلون خارج الأراضي التي يسعون إلى ضمّها لإقليم "كردستان السوري"، الذي ينوون إقامته، أي إنهم سيحصرون قتالهم شرق نهر الفرات. لذا، كان لا بد من تجنيد بعض المقاتلين العرب للتوغل غرب الفرات في الشمال السوري، والاستيلاء على نقاط إستراتيجية، مثل منبج، تمنع - حال انهيار "داعش" - هجوما باتجاه الشرق يمكن أن تشنه "النصرة" المتمركزة في الشمال الغربي.

لكن بسبب مواقفها المتقلبة في العراق منذ العام 2010 وفي سوريا منذ اندلاع الثورة ضد نظام الرئيس السوري بشار الأسد في العام 2011، تعاني الولايات المتحدة من شحّ في الحلفاء المقاتلين على الأرض، وهي على الرغم من تكرار مسؤوليتها الحديث عن "شركائنا العراقيين وشركائنا السوريين"، أي المقاتلين، إلا أن برامجها المخصصة لتسليح وتدريب "المعارضة المعتدلة" منيت بفشل ذريع.

هكذا، ترى واشنطن أنه لا بد من القضاء على "جبهة النصرة" في عملية متزامنة مع إنهاء "داعش". لكن بسبب انعدام الإمكانيات الأميركية للتخلص من "النصرة"، ابتكرت الدبلوماسية الأميركية حلاً أربك الحلفاء ولم يرض الخصوم، فواشنطن أبدت استعداداً لتعاون عسكري مع روسيا، بتقديمها معلوماتها الاستخباراتية حول أماكن وجود "النصرة" في الشمال السوري، وهو ما كان مطلباً للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في الأسابيع الأولى لاشتراك جيشه في الحرب السورية الخريف الماضي.

طرح كيري اقتراحه على نظيره الروسي سيرغي لافروف، الذي أبدى موافقة مشروطة بتوسيع التعاون الأمريكي - الروسي، فرمى كيري بتنظيمي "جيش الإسلام" و"أحرار الشام" في الخطة، التي حملها إلى موسكو وقدمها لبوتين.

لكن مثلما اعتقد أوباما أن بوتين في موقف ضعف يوم ناشده التوصل إلى حل في سوريا الصيف الماضي، اعتقد بوتين أن أميركا اليوم في موقف ضعيف، وأجاب كيري أن العرض الأمريكي "مثير للاهتمام ولكنه غير كاف". وطالب بوتين بمعلومات أميركا عن "داعش" و"النصرة" و"الأحرار" و"جيش الإسلام" في عموم سوريا، لا في المناطق المجاورة لـ "داعش" فحسب.

ثم إن بوتين رفض اقتراح كيري بمبادلة المعلومات الأميركية حول "النصرة" وحلفائها بوقف الضربات الروسية للمجموعات التي تعلنها أميركا من "المعارضة السورية المعتدلة"، وقال إن موسكو مستعدة لتوسيع عملياتها بالتنسيق مع واشنطن، ولكنها "لن تنتظر الأذن من واشنطن لضرب المناطق التي تعتقد أن فيها إرهابيين في سوريا".

هكذا خرج كيري خالي الوفاض، وقضى بوتين على تعاون أميركي - روسي محتمل كان قد أثار زعر حلفاء أميركا في سوريا والمنطقة.

